فلسطين وتأييدهم في رفض قرار التقسيم فقد ادركت بريطانيا واعوانها صعوبة تحدي هذا الموقف الجماهيري فكان أن لجأت الى مجموعة اجراءات ماكرة منها فرض حظر على بيع السلاح للعرب في اسواق أوربا ، ومنها أن أعوانها من الحكام العرب راحوا يحجبون السلاح المقرر تسليمه الى عرب فلسطين من خلال اللجنة العسكرية ، أو يقدمون السلاح القديم الفاسد (بعضه استعمل في النصف الاول من القرن الماضي في معارك ابراهيم باشا والوهابيين في نجد) بعد المواعيد المفروضة، ومنها تأخير تسديد الالتزامات المالية المطلوبة من الحكومات العربية . وكان القصد من ذلك كله اضعاف قدرات المقاومة المسلحة لشعب فلسطين او تقليص حجمها .

وكان الوجه الآخر لمقاومة دعاة محاربة التقسيم هو القبول الشكلي بانشاء القوة العربية المتحركة ولكن بعد تقييدها من ناحية الحجم والتسليح وبمحاولة التحكم بقيادتها وكان القصد من القبول بهذه القوة هو أن تلعب دورا سياسيا ، بالدرجة الاولى ، يستهدف تخدير الجماهير العربية وتغطية مسألة عدم تسليح عرب فلسطين واظهار « تأكيد المشاركة العربية في حماية عروبة فلسطين » .. الخ . وبالاضافة فان هذه القوة تشكل نوعا من البديل للمقاومة الشعبية الفلسطينية . وكان وراء هذا القبول الشكلي لانشاء جيش الانقاذ ذي الطابع العربي هدف سياسي آخر أكثر خبثا ولؤما ويرمي الى زيادة تعقيد مسألة الوحدة الوطنية في ساحة فلسطين خاصة ، مما يتيح لاعوان الانكليز أن يلعبوا دورهم ويمارسوا سياستهم الحقيقية (التقسيم) حين يحين الوقت المناسب لفرض قرار التقسيم او على الاقل لتولي ما سيبقى من فلسطين خارج حدود الدولة اليهودية — وهذا ما طرحه توفيق أبو الهدى — رئيس حكومة الاردن — على ارنست بيفن — وزير خارجية بريطانيا — في آذار ١٩٤٨(١٠).

لقد اعتبر الانكليز واعوانهم جيش الانقاذ وسيلة ، أو بالاحرى ، شرا لا بد منه لتقليص حجم الكفاح الفلسطيني ، بعد أن تبين لهؤلاء استحالة الوقوف في وجه الجماهير الغاضبة وصعوبة اعلان تأييدهم قرار التقسيم ومعارضة الدعوة للكفاح المسلح بسبب تلك الحماسة الشعبية الجارفة لمقاومة قيام دولة يهودية في فلسطين .

ولكن هذا جانب واحد من الصورة . انما من الواجب التذكر بل ومن الضروري جدا أن لا تغيب عن الذهن اطلاقا انه كانت هناك نظرة أخرى وجانب ثان مغاير تماما. كانت النظرة الثانية تعتبر التطوع في جيش الانقاذ عملا وطنيا ومقدسا وترى في الالتحاق به تجسيدا لاغلى أماني العرب القومية ، وان هذا الجيش هو رمز لموقف نضالي عربي جاد وممارسة كفاحية شعبية حقيقية تساهم جديا مع عرب فلسطين في تحرير الوطن والقضاء على المشاريع الاستعمارية والصهيونية . بهذه الروحية جاء آلاف المتطوعين العرب الى مكاتب « لجنة انقاذ فلسطين » في بغداد مطالبين بتسهيل سفرهم الى سوريه للالتحاق بأفواج الانقاذ ، وكذلك فعل آلاف من الشباب السوريين واللبنانيين الذين جاءوا الى مكاتب اللجنة العسكرية و« لجان تحرير فلسطين » في دمشق وحلب للتطوع والى « مكتب فلسطين الدائم » في بيروت للقتال والنضال . وجاء كذلك الى ساحات فلسطين أكثر من (١٥٠٠) مقاتل من قبائل الاردن — الحويطات وبني صخر وبني خالد خاصة — ليشاركوا الفلسطينيين ، في صفوف الانقاذ ، في معارك القدس وباب الواد والجليل . وأراد مثل هذا العدد من ابناء المغرب وخاصة من تونس وليبيا أن يلتحقوا بجيش الانقاذ ، بعد أن اجتازوا الصحارى والمسافات الطويلة ، ولكن حكومة محمود فهمي النقراشي رأت الحاقهم بقوات المتطوعين العاملين في جنوب فلسطين ... هذا الحماس الشعبي لم يكن كله عفويا عاطفيا بل شاركت فيه واندفعت القيادات الوطنية والعناصر الواعية اذ التحقت بعض قيادات الاحزاب العربية وقواعدها ، فقد انتظم في صفوف الانقاذ وشارك في معاركه في الجليل والمنطقة الوسطى مئات من أعضاء